دلالة تكرار الصوت في النص الشعري مختارات من شعر أبي ذؤيب الهذلي

م.م. نادية سالم صالح

م.م. إيمان علاوي خلف

جامعة سامراء/ كلية التربية / قسم اللغة العربية

الملخص:

دلالة تكرار الصوت في النص الشعري مختارات من شعر أبي ذؤيب الهذلي، دراسة ترتكز على تكرار صوت معين أكثر من غيره حيث يُستعمل تكرار الصوت في الشعر على أنه أحد الفنون الشعرية التي يستعملها الشعراء لتحقيق تأثيرات معينة وإبراز بعض الأفكار والمشاعر أكثر من غيرها كالحزن والفرح والغضب واليأس وغيرها مما يُسهم في التواصل الفكري بين الشاعر والقارئ واستثارة ذهن القارئ على اختلاف الأزمنة والامكنة ليعيش حالة مخصوصة وبيان مدى التأثر بالنص الشعري، وبالتالي تتوضح الرسالة التي يرغب الشاعر في التعبير عنها، جاء البحث في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي، إذ قُسم لمبحثين يتجلى قبلهما مقدمة وتمهيد عن التكرار، ومن ثم المبحث الأول الذي يتحدث عن علم الأصوات ودلالة الأصوات المكررة ومخارج الحروف وصفاتها، أما المبحث الثاني فقد كان تطبيقات صوتية على بعض اشعار أبو ذؤيب الهذلي، تنطلق الدراسة من تساؤل يخص تكرار الصوت في بنية الكلمة نفسها هل هو مجرد حشو؟ أم هناك قصدية من هذا الأسلوب، ويهدف البحث إلى وجود دلالة بين الأصوات المكررة ومعاني مخصوصة أكثر من غيرها، كما جاء التكرار عند الشاعر أداة تعبيرية جمالية تخدم الموضوع وتركز على معنىً أو حالة أكثر من سواها.

المفردات المفتاحية: (دلالة التكرار للصوت، نص شعري، شعر أبي ذؤيب الهذلي).

The Significance of Sound Repetition in the Poetic Text Selections from the Poetry of Abu Dhu'ib Al-Hudhali

Nadia Salem Saleh

Iman Allawi Khalaf

Samarra University/ College of Education/ Department of Arabic Language

Abstracts:

The significance of the repetition of the voice in the poetic text Selections from the poetry of Abu Dhu'ib Al-Hudhali, a study based on the repetition of a certain voice more than others, where the repetition of the voice is used in poetry as one of the poetic methods that poets resort to to achieve certain effects and highlight some ideas and feelings more than others, such as sadness, joy, anger, despair, and others, the research came in our study on the descriptive analytical approach, as it was divided into two sections preceded by an introduction and a preface to repetition, and then the first section, which talks about phonetics and the significance of repeated sounds and the exits of letters and their qualities, the second section was phonetic applications on some of the poems of Abu Dhu'ib Al-Hudhali, the study proceeds from a question regarding the repetition of sound in the structure of the word itself, is it just a filler? Or is there an intentionality of this method, and the aim of the research to the existence of significance between the repeated

sounds and the meanings of the most special.

Keywords: (significance of sound repetition, poetic text, Abu Dhu'ib Al-Hudhali's poetry).

مقدمة:

الحمدُ لله حمدًا يليق بمقامه الكريم ، والصلاة والسلام على الرسول الأمين ، محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وبعد:

إنّ اللغة العربية من أسمى اللغات وأغناها مفردة وأقواها جودة وأسلوبًا، ولكل معنى فيها له لفظه وصوته ودلالته، والنص الشعري رسالة من المنشئ إلى المتلقي تحمل في طياتها إشارات ودلالات وفهم هذه الرسالة يتطلب الوقوف على أدق تفصيلاتها والأصوات مؤشر مهم لتلك الإشارات والدلالات، لذلك جاء هذا البحث ليقف على ظاهرة التكرار وتحديدًا تكرار الصوت في بعض الأبيات الشعرية لأبي ذؤيب الهذلي ، تلك الظاهرة التي تعطينا إشارات إلى إنّ التكرار ليس مجرد شكلٍ لغويٍ يظهر أمامنا بمقدار ماله ارتباطٌ نفسيُ لدى الشاعر والمتلقي بعدّهما مرسلاً ومستقبلاً لمعانٍ دون غيرها ، وهذا ما يُعزز قناعتنا بفكرة اللجوء إلى أصوات وأحرف وتكرارها أكثر من غيرها ومدى فاعلية هذا الأمر عند الشاعر والمتلقي على حد سواء .

تنطلق الدراسة من تساؤل يخص التكرار وتحديدًا تكرار الصوت في بنية الكلمة نفسها هل هو مجرد حشو أم هناك قصدية من خلف ذلك ؟ ما الدلالات التي تحملها الأصوات المتكررة ؟ هل جاء التكرار متطابقاً مع صفات الأصوات نفسها؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات جاءت دراستنا تتضمن التنظير لكل من التكرار والصوت العربي ، ومخارج الأصوات وصفاتها وكانت مادة هذه الدراسة نماذج مختارة من أشعار أبو ذؤيب الهذلي لنبين من خلالها ما نرمي إليه ،هذا وقد أعانتنا في دراستنا بعض المصادر والمراجع مثل الكتاب لسيبويه وكتاب العين للخليل وديوان أبي ذؤيب الهذلي والتكرار في الشعر الجاهلي للدكتور موسى ربابعه.

جاء بحثنا يخضع للمنهج الوصفي التحليلي إذ قُسِم لمبحثين يسبقهم مقدمة وتمهيد عن التكرار ومن ثم المبحث الأول الذي يتألف من قسمين الأول: يتحدث عن علم الاصوات والدلالة المتأتية من تكرار الأصوات، والثاني: يتناول مخارج الحروف وصفاتها .

أما المبحث الثاني فقد جاء مقتصرًا على تطبيقات صوتية على بعض أشعار أبو ذؤيب الهذلي ، وختامًا أسأل الله التوفيق والسداد.

التمهيد

التكرار لغةً واصطلاحًا:-

التكرار في اللغة يرجع إلى الكرّ والرجوع ، ويأتي معبرًا عن الإعادة والعطف ، وعرفه ابن منظور بقوله: ((الكرّ: الرجوع يقال كرّه وكرّ بنفسه.. والكرّ مصدر كرّ عليه يكرّ كراً وكروراً وتكراراً:عطف عليه وكرّ عنهُ :رجع.. وكرر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى. فالرجوع إلى شيء وإعادته وعطفه هو تكرار)) [١] ، أما اصطلاحاً فهو ((الاتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني)) [٢].

تكرر هذا المصطلح بكثرة عند البلاغيين العرب القدماء ، فقد انتبه له الكثير من البلاغيين والنقاد العرب القدامى كالجاحظ ، وابن رشيق القيرواني ، وابن الاثير ، والقاضي الجرجاني ، والسجلماسي [٣]وغيرهم حيث تلخصت آراؤهم بشأن هذا المجال بأنّه أسلوب تتبعه العرب ويؤتى به للعناية والتأكيد ويكون أما تكرارًا لفظياً أو معنوياً ، أما المحدثين فقد درسوا هذا المصطلح وتكلموا عنه بنظرة مختلفة حيث عنوا بدراسة الحاجة النفسية لدى الشاعر الذي يستعمل هذا الأسلوب . ومن الدارسين المحدثين نازك الملائكة ورمضان عبد التواب ومحمد عبد المطلب ومحمد بنيس ومحمد مفتاح ومصطفى السعدني وصلاح فضل وغيرهم.[٤]

ويرى الدكتور موسى ربابعه أنّ ((التكرار إحدى الأدوات الفنية الأساسية للنص وهو يستعمل في التأليف الموسيقى ، وفي الرسم ،وفي الشعر والنثر... إنّ ظاهرة التكرار تبدأ من الحرف وتمتد إلى الكلمة إلى العبارة وإلى بيت الشعر، وكل واحدة من هذه الظواهر تعين على إبراز دور التكرار)).[٥]

والتكرار موضوع واسع جداً يتعدى حدود الصوت والحرف فهناك تكرار للكلمة ، وتكرار للجملة أو جزء منها ، وتكرار الحروف هو أقرب ما يكون إلى المادة الصوتية المسموعة وهي ظاهرة موجودة لا يمكن اهمالها أو نفيها وقد ورد في الشعر الجاهلي فقد كان الشاعر يسعى إلى تحقيقه من طرفين متقابلين احدهما يتعلق بالالتزام بقافية واحدة وبحر واحد والثاني يكمن في كل بيت على حدة .[٦]

والتكرار الذي سيعالجه هذا البحث هو تكرار الحروف في البيت الواحد أو النص الشعري، وقبل الخوض في التكرار و دلالة الصوت ومخارج الحروف والصفات يجدر بنا التعريف بشاعرنا الذي سنتناول بعضًا من نصوصه الشعرية في دراستنا هذه ألا وهو أبو ذؤيب الهذلي :

هو خويلد بن خالد ... بن هذيل، جاهلي إسلامي ، قيل: مات بمصر بعد سنة ٣٠ هـ. ومات بنوه الخمسة قبله بعام في وباء حصل بمصر.[٧]

المبحث الأول

أولًا / علم الاصوات

إنّ علم الأصوات يعد من العلوم التي لها مساس كبير بعلوم اللغة وفنونها، لأنّ اللغة كما يعرفها ابن جني (ت ١٣٩٢هـ): ((أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))[٨]، فهي أصوات ذات دلالات يفهمها المتكلم والمخاطب لتحقيق أغراضهم فاجتمعت فيها عوامل فسيولوجية واجتماعية.

وإنّ عملية نقل الأصوات اللغوية تمر بمراحل ثلاث، إطلاق الصوت من المتكلم ، ونقله عبر الهواء، واستلامه من قبل المتلقي وفي هذه المراحل الثلاثة تتم الدلالة ويتحقق الغرض الذي يطلبه المتكلم

ويفهمه المتلقي ويساعد على فهم الدلالة خصائص كل صوت ينطق به من جهر وهمس ، وقوة وليونة ، وغير ذلك من السمات الأخرى المحددة من قبل علماء الأصوات.

أما علاقة الصوت بالمعنى فهي تحمل تأثيرًا سماعيًا وانطباعيًا ذا وقع على المتلقي، ومن أول من أشار إلى هذه العلاقة الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) بقوله ((صر: صَرَّ الجندب صريرا، وصرصر الأخطب صرصرة. وصرّ الباب يمصر، وكلُّ صَوْتٍ شِبْهُ ذلك فهو صرير إذا امتد، فاذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف كقولك: صرصر الأخطب صرصرة. وريح صرصر: ذات صر، ويقال: ذات صوت، والصرصر نعت لها من البرد.))[٩]

ووافقه سيبويه في ذلك ثم جاء من بعدهما الجاحظ فوضع حدًا للصوت وهو:((الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع ،وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا أو منشورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف)) [١٠]

ثانيًا/ مخارج الحروف وصفاتها

أ. مخارج الحروف

المخرج في اللغة: الخروج: نفيض الدخول، خرج يخرج خروجا ومخرجاً وقَال الجوهريُّ: قد يكون المَخْرَجُ موضع الخُرُوج ،[١١]وفي الاصطلاح : محل خروج الحرف ، وقد عدها سيبويه ستة عشر مخرجًا:

١- اقصى حد لها مخرجًا الهمزة، والهاء، والألف

٢- من منتصف الحلق مخرج: العين، والخاء

٣- أدناها خروجًا من الفم العين والخاء

٤- من الحد الأقصى للسان وما فوقه من الحنك الأعلى، مخرج: القاف

٥- من أسفل من وضع القاف من اللسان قليلًا، ومما يليه من الحنك الأعلى، مخرج: الكاف

٦- من منتصف اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج: الجيم والشين والياء

٧- من بين أول طرف اللسان وما يليها من الأضراس مخرج: الضاد

٨- من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الضاحك والتاب والرباعية والثنية، مخرج اللام

٩- من طرف اللسان من أدناها إلى نهاية طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الثنايا، مخرج: النون

١٠- من مكان خروج النون غير انه أدخل في ظهر اللسان قليلا، لانحرافه إلى اللام، مخرج: الراء.

١١- مما بين حافة اللسان وأصول الثنايا، مخرج: الطاء، الدال، التاء

١٢- مما بين حافة اللسان وفويق الثنايا، مخرج: الزاي، السين، الصاد

١٣- مما بين حافة اللسان وأطراف الثنايا، مخرج: الظاء، الذال، الثاء

١٤- من داخل الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج

١٥- من الخياشم، مكان خروج النون الخفيفة، أي النون الساكنة

١٦- ومما بين الشفتين مخرج: الباء الميم، الواو.[١٢]

ومن المعاني التي تعطيها صوت الحروف في للكلمات ما ذكره الدكتور أسعد أحمد:

١ - الهمزة: يدل على الجوفية، وعلى ما هو وعاء للمعنى .

٢ – الباء: يدل على انتهاء المعنى في الشيء انتهاءً تاماً .

٣– التاء: يدل على الحالة المضطربة في الطبيعة .

٤– الثاء: يدل على الارتباط بالشيء: له علامته الملموسة سواء في الحسيات أو المعنويات.

٥– الجيم: يدل على العظم مطلقاً.

٦– الحاء: يدل على التماسك البالغ وتحديدًا في الأشياء المخفية.

٧– الخاء: يدل على الانصياع والانتشار، وعلى التلاشي مطلقاً.

٨– الدال: يدل على التحجر، و التغير المفرق.

٩ – الذال: يُشير إلى معنى الفرادة.

١٠ – الراء: يدلل على الملكة، وانتشار الوصف.

١١ – الزاي: يدل على التقلّع القوي.

١٢– السين: يدل على السعة والبسطة من غير تخصيص.

١٣ – الشين: يدل على الانتشار الواسع بشكل غير منظم.

١٤ – الصاد: يدل على المعالجة الشديدة.

١٥. الضاد: يدل على الهيمنة تحت الثقل.

١٦ – الطاء: يدل على الملكة في الصفة، وعلى الانثناء والانكسار.

١٧ – الظاء: يدل على التمكن.

١٨ – العين: يدل على الفراغ الباطن، أو الفراغ بشكل مطلق.

١٩ – الغين: يدل على المعنى بشكل مكتمل سيما في الخفاء.

٢٠ – الفاء: تعبر عن لازم المعنى ، أي يدل على المعنى الكنائي.

٢١ – القاف: يعبر عن التفاجؤ الذي يحدث صوتاً .

٢٢ – الكاف: يعبر عن الشيء الناتج في احتكاك.

٢٣ – اللام: يدل على أخذ انطباع الشيء بعد تكلف.

٢٤ – الميم: يُشير إلى الانجماع.

٢٥ – النون: يدل على جوف الشيء، أو على التمكن في المعنى تمكنا تظهر أشكاله.

٢٦ – الهاء: يوحي بالتلاشي.

٢٧ – الواو: يدل على الانفعال المؤثر في الظواهر.

٢٨ – الياء: يدل على الانفعال المؤثر في البواطن.[١٣]

ب. صفات الحروف

١ – الهمس: في اللغة: الخفاء، وفي الاصطلاح: اندفاع النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج، وحروف الخفاء عشرة تجتمع بعبارة (فحثه شخص سكت) .

٢– الجهر في اللغة: الإعلان، وفي الاصطلاح: انحباس اندفاع النفس عند النطق بالحرف لقوة اعتماد المخرج ، وحروفه ثمانية عشر، وهي الحروف المتبقية من حروف الهجاء بعد حروف الهمس.

٣- الشدة: في اللغة: القوة، وفي الاصطلاح: انحباس جريان الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج، وحروفها ثمانية تجتمع في عبارة (أجد قط بكت) .

٤ - التوسط في اللغة: الاعتدال، وفي الاصطلاح: نطق الحرف بصوت معتدل لعدم اكتمال انحباسه، كما في حروف الشدة، وعدم كمال اندفاعه، كما في حروف الرخاوة وحروفها خمسة هي: اللام، والنون، والعين، والميم، والراء.

٥- الرخاوة في اللغة: اللين، وفي الاصطلاح: جريان الصوت مع الحرف لعدم الاعتماد على المخرج. وحروف الرخاوة خمسة عشر، وهي الحروف المتبقية من الاحرف الهجائية بعد حروف الشدة والتوسط .

٦ - الاستعلاء لغة: الارتفاع، وفي الاصطلاح : ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف وحروف الاستعلاء سبعة مجموعة في قولهم (خص ضغط قظ) .

٧- الاستفال في اللغة: الانخفاض، وفي الاصطلاح: انخفاض اللسان إلى قاع الفم عند النطق بالحرف وحروف الاستفال واحد وعشرون، وهي المتبقية من الاحرف الهجائية بعد أحرف الاستعلاء.

٨- الإطباق في اللغة: الإلصاق ، وفي الاصطلاح: التصاق اللسان على سقف الحنك الأعلى عند نطق الحرف ، وعددها أربعة وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء.

٩- الانفتاح في اللغة: الافتراق، وفي الاصطلاح: انفتاح ما بين اللسان والحنك الأعلى عند نطق الحرف وحروفه أربعة وعشرون، وهي المتبقية من الأحرف الهجائية بعد أحرف الإطباق.

١٠- الإذلاق في اللغة: حدة اللسان، أي طلاقته ، وفي الاصطلاح: خفة النطق بالحرف لخروجه من بطن اللسان، أو الشفتين وحروف الإذلاق ستة مجموعة في قول المؤلف: (فر من لب) .

١١- الإصمات في اللغة: المنع، وفي الاصطلاح: ثقل نطق الحرف لخروجه من غير حافة اللسان، والشفتين وعدد حروفه اثنان وعشرون، وهي المتبقية من الاحرف الهجائية بعد حروف الإذلاق.

١٢- الصفير: في اللغة: صوت يشبه صوت الطائر، وفي الاصطلاح: صوت يخرج مصاحبًا لأحد حروف الصفير، وعددها ثلاثة وهي: (الصاد، والزاي، والسين).

١٣- القلقلة: في اللغة: الاضطراب، والتحريك ، وفي اصطلاح: اضطراب مخرج الصوت عند النطق بالحرف ساكنا إلى أنّ تسمع له نبرة قوية وعدد حروفها خمسة تجتمع في عبارة (قطب جد).

١٤ - اللين: في اللغة: ضد الخشونة ، وفي الاصطلاح: إخراج الحرف في لين وعدم كلفة، وحروف اللين اثنان، وهما: الواو، والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما.

١٥- الانحراف: في اللغة: الميل، والعدول، وفي الاصطلاح: ميل الحرف عن مخرجه إلى طرف اللسان وله حرفان هما: (اللام، والراء).

١٦- التكرار: في اللغة: إعادة الشيء مرة بعد أخرى ، وفي الاصطلاح: ارتعاد طرف اللسان عند النطق بالحرف، وللتكرار حرف واحد، وهو: الراء.

١٧- التفشي: في اللغة: الانتشار والاتساع ،وفي الاصطلاح: انتشار الريح في الفم عند النطق بالحرف، وللتفشي حرف واحد وهو: الشين.[١٤]

المبحث الثاني تطبيقات على بعض أشعار أبو ذؤيب الهذلي

أولًا:- قال الشاعر : في رثاء أبنائه .[١٥]

أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّع وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ

تنماز هذه القصيدة بحالة شعورية فريدة يعاني فيها الشاعر الحزن من جهة ومحاولة تجلده في مواجهة الفاجعة من جهة أخرى لذلك وفي احصائية سريعة نجد اصوات الجهر واصوات الهمس تتوازيان بما يشكل النصف يشهد بذلك بيته الشهير (وتجلدي للشامتين) الذي سوف نتناوله في هذه الدراسة ، في البيت كلمة (تتوجع) تكرار حرف التاء والجيم في هذه الكلمة وكلمة (يجزع) وايحاءاتها بالألم والتوتر والضغط على الإنسان، فهو يسأل نفسه التي تتوجع الماً وحسرة على من فقدت ذاكراً أنّ الدهر لا يعزي من ينكب، ولا يتراجع عما يفعل، إذن لا فائدة من الحزن والتوجع.

حتى أنّ هذا التوجع والالم لم يبق كامناً في نفسه بل اصبح ظاهرًا للعيان ، وهذا ما بينه في قوله:[١٦]

قالَت أُمَيمَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِباً مُنـذُ اِبتَذَلتَ وَمِثلُ مالِكَ يَنفَع

أَم ما لِجَنبِكَ لا يُلائِمُ مَضجَعاً إِلّا أَقَضَّ عَلَيكَ ذاكَ المَضجَعُ

إذ نجد في البيتين تناسبا صوتيا وعدديا بين حروف الهمس وبين حروف الجهر وهو تناسب يوحي بالتناقض الذي تتساءل عن علته اميمة التي انكرت عليه شحوبه وهو الثري الذي يمكنه ماله من التلذذ بالنعم لكن فاجعته اخذت منه لذة الحياة من مأكل ومشرب وراحة لا يجدها ولو انه حاول النوم أقض عليه نومه هاجس الحزن والكآبة وهذا ما بينه بقوله: [١٧]

فَأَجَبتُها أَن ما لِجِسمِيَ أَنَّهُ أَودى بَنِيَّ مِنَ البِلادِ فَوَدَّعوا أَودى بَنِيَّ وَأَعقَبوني غُصَّةً

بـعـدَ الـرُقـادِ وَعـبرَةً لا تُقلِعُ

في هذين البيتين علل الشاعر سبب شحوبه حيث كرر عبارة (أَودى بَنِيَّ) وهو الخبر الرئيس وكأنه ينشره من جديد يدفعه لذلك شعور الاب الفاقد لبنيه، ومثلما وجدنا وسنجد في جميع ابيات القصيدة تتوزع ابيات الجهر والهمس بشكل متقارب.

ويستمر في القصيدة نفسها من التوجع وإظهار الحسرة، فيقول : [١٨]

وَلَقَد حَرِصتُ بِأَن أُدافِعَ عَنهُمُ فَإِذا المَنِيّةُ أَقبَلَت لا تُدفَعُ

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَهـا الفَيتَ كـلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

فهنا كرر عبارة (إِذا المَنِيَّةُ) بأحرفها وأصواتها وكأنه يقنع نفسه قبل المتلقي بأن القدر غالب، كما نجد في البيتين تكرار حرف التاء عشر مرات وهو من اصوات الهمس، و هذه الاصوات تجري في حرف ضعيف الاعتماد عليه في موضعه فجرى معه النفس، أو لأنّ مخرجه دون المجهور في الصوت ليدل وجوده في البيتين على الضعف والاستسلام للقدر.

ويستمر الشاعر في ابيات أخرى بالبكاء والتأسي على من فقد، إذ يقول: [١٩]

وَلَقَد أَرى أَنَّ البُكاءَ سَفاهَةٌ وَلَسَوفَ يولَعُ بِالبُكا مِن يَفجَعُ

....

وَتَجَلُّدي لِلشامِتينَ أُرِيهِمُ أَنّي لَرَيبِ الدَهرِ لا أَتَضَعضَعُ

وَالنَفسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبتَها فَـإِذا تُـرَدُّ إِلـى قَـليلٍ تَقنَعُ

في الابيات الثلاث يرسل الشعر حكماً للحياة، ويعلن كيف كان جلدا يسفّه من يبكي فابتلى بأبنائه فعذر من يبكي، ويكشف فيها ما أشرنا له سابقا من تنازع الرغبتين داخله، رغبة الانهيار بعد مصابه، ورغبة التصبر كيلا يشمت اعداؤه! ويتأمل في نزوع النفس للمزيد وأنَّها إن هُذّبت قنعت، وهذه كلها أضداد في الحياة، ولذلك نجد الاصوات كذلك تتجاذبها الحالتان بشكل شبه متناصف، ففي هذه الأبيات تتوازى نسب أصوات الجهر واصوات الهمس واصوات القلقة واصوات اللين لترسم صورة نفسية يعانيها الشاعر.

ثانيًا:- قال أبو ذؤيب في هجرانه لحبيبته: [٢٠]

هَــلِ الدَهرُ إِلّا لَيلَةٌ وَنَهارُهـا وَإِلّا طُلوعُ الشَمسِ ثُمَّ غِيارُها

وَعَيَّرَها الواشونَ أَنّـي أُحِبُّـها وَتِلكَ شَكاةُ ظاهِرٌ عَنكَ عارُها

فَلا يَهنَأ الواشينَ أَنّي هَجَرتُها وَأَظـلَمَ دونـي لَـيلُها وَنَـهـارُهـا

تكرر حرف ال (هـ) حرف ضعيف تتناسب مع حالة الضعف التي يعيشها الشاعر بعد هجره لحبيبته.... فنجده هنا يتألم للفراق ويشتكي من تدخل الوشاة وإفسادهم ما بينه وبين حبيبته حتى اضطر إلى التظاهر بإنهاء تلك العلاقة ليخرس ألسنتهم برغم أن ذلك الهجران كان يكلفه الكثير، إذ قد أحال نهاره المشرق إلى ليل مظلم، بل إنّ الليل والنهار عنده سواء.[٢١]

ثالثًا:- وقال أبو ذؤيب : [٢٢]

جَمالَكَ أَيُّها القَلبُ القَريح سَتَلقى مَن تُحِبُّ فَتَستَريحُ

تكرار حرف القاف في هذا البيت ثلاث مرات وهو حرف شديد الوقع ... وتكرار حرف الحاء ثلاث مرات في البيت ذاته وحرف الحاء من الحروف الرخوة اللينة ، وكأنّ الشاعر يزاوج بين حالين شديدي الوقع في نفسه متضادين في الوقت ذاته (الشدة واللين) من خلال توظيفه لهذه الحروف فجاءت القاف بشدة وقعها لتبين (القلب القريح) في حين أعطت الحاء بلينها واسترخائها النتيجة الأخيرة للشاعر وهي الراحة (فتستريح) وكان لقاء الحبيبة بوقع قافه واسترخاء حائه (ستلقى من تحب) الجسر الذي عبر من خلاله الشاعر من الضيق والأزمة إلى بر الأمان والراحة والسكينة فتناسبت صفات هذين الحرفين لحال وواقع الشاعر.

رابعًا:- وقال أبو ذؤيب مادحًا :[٢٣]

جاوزته حين لا يمشي بعقوتهِ إلاّ المَقانِبُ والقُبُّ المقاريحُ

كرر حرف القاف في هذا البيت أربع مرات وجاء هذا التكرار مناسبًا للشدة والبأس والقوة التي يتصف بها الممدوح واقدامه على اتباع الطرق المخوفة من أجل الكسب معتمدا على نفسه في حين لو كان احداً غيره لا يقدم على ذلك إلا عندما يكون برفقة الجماعة ومستعيناً بالخيل، فحرف القاف اوحي بالقوة واهتزاز الصوت به يسمع له نبرة شديدة إذ وجود صوت القاف في الكلمات غالبًا ما يكسبها صفة القوة مثل : حق – وقوة – وقسوة – وقدرة – وطاقة – وقضاء)

خامسًا:- وقال راثياً: [٢٤]

فَإن تُمسِ في رَمسٍ بَرهَوَةَ ثاوِياً أَنيسُكَ أَصداءُ القُبورِ تَصيحُ

عَلى الكُرهِ مِنّي ما أُكَفكِفُ عَبرَةً وَلكِن أُخَلّي سَربَها فَتَسيح

في البيت الأول تكرر حرف السين وفي الثاني الكاف وهي أحرف مهموسة .... جاء متناسبة مع الحالة النفسية التي انتابت الشاعر وهمه وحزنه على موت ممدوحه. والرهوة: أرض. يقول: ليس لك أنيس بها إلا الهام التي في القبور. والصدى: طائر.

سادساً : وقال يبكي وفاة النبي محمد (صل الله عليه وسلم) : [٢٥]

كُسفت لمَصرَعِهِ النجومُ وبدرُها وتَزعزَعَت آطامُ بطنِ الأبطحِ

وتَزعزعت أجبالُ يثربَ كُلُها وَنخيلُها لِحلولِ خَطبٍ مُفدحِ

نرى في هذين البيتين إن كل مظاهر الحياة وما يضمه الكون من نجوم وجبال ونخيل قد تلاشت واختل نظامها بسبب فقدان الرسول (صلى الله عليه وسلم) فكان هذه الماديات التي تدل على وجود

الحياة وديمومتها قد اقتلعت لأن المكان اصبح خالياً من الممدوح المتوفى وجاءت كلمة (تزعزعت) التي تكررت مرتين لتعبر عن هذه الفاجعة والخلو وهول هذه المصيبة لاسيما دلالة حرفي الزاي والعين للتقلع القوي والخلو المطلق جاءت مناسبة لغرض الشاعر وتعبر عن عظم المفقود الذي اقترن خلو مكانه بخلو الحياة نفسها.

سابعاً :- ويقول ناصحاً :[٢٦]

فإن وصلتْ حبلَ الصفاءِ فدُم لها وإن صرمتهُ فانصرمْ عن تَجامُلِ

يقدم الشاعر في هذا البيت معالجة سريعة وأكيدة لأساس العلاقات الاجتماعية بين البشر والتي تبنى على الصفاء والود والإحسان فنراه في الشطر الأول من البيت قدم الحل والسبب في أصل الوصال وهو المداومة وفي الشطر الثاني قدم كذلك الحل والطريقة للقطيعة والهجران وهي الهجر اللطيف الذي يلازم المجاملة واستعمل الفاظاً تكرر فيها حرف الصاد الذي نراه قد تكرر أربع مرات وحرف الفاء الذي تكرر اربع مرات كذلك وفي دلالتهما ما لا يخفى من المعالجة الشديدة ولزوم المعنى فأتت مناسبةً للمقصود.

ثامناً :- ويقول معاتباً :[٢٧]

فَلَو أنَّني كُنتُ السَليمَ لَعُدتني سريعاً وَلَم تَحبِسكَ عَنّي الكوادسُ

لا يخفى على القارئ لهذا البيت هيمنة حرف السين عليه الذي تكرر أربع مرات، والسين حرف مهموس يدل على الضعف والمسكنة ومن دلالاته كذلك السعة والبسطة من غير تخصيص وهاتان الدلالتان جاءتا متطابقتين لحالة الشاعر المعاتب الذي بنى عتابه على ضعفه وانكساره باستحضار حالة الانسان السليم والمعافى من الامراض التي يفتقر لها الشاعر والتي تكون مدعاة لوصال الناس إليه وتكرر حرف الكاف وهو مهموس كذلك ليوحي بالحالة ذاتها ويعزز صورة الضعف.

الخاتمة:

الحمد لله ربّ العالمين، حمد الذاكرين الشاكرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والاخرين (صلى الله عليه وسلم).

وبعد... فقد جاءت هذه الدراسة بعد الانتقاء لبعض النصوص الشعرية لأبي ذؤيب الهذلي التي تكررت فيها بعض الأصوات أكثر من غيرها، وقد سجلت بعض الملاحظات يمكن تلخيصها بما يأتي:

١. نجد ان الدراسة الصوتية في شعر ابي ذؤيب الهذلي جديرة بالتوقف عندها وتأمل دلالاتها، وعلى الرغم من قلة الشواهد الا انها كانت غنية بالأصوات الموحية الداعمة للمعنى، وحيث كان الصوت كان المعنى متناسبا غير متناقض عن صفة الصوت ودلالته وهذا ما ينماز به شعر هذا الشاعر بشكل خاص والشعر القديم على العموم، مما يشجع على دراسة الموضوع بجدية أكبر، واستخراج صور ادبية تخدم دارس العربية وتكشف جمال وجزالة شعر هذه القبيلة متمثلة بأبرز شعرائها.
٢. جاء التكرار عند الشاعر أداة تعبيرية جمالية تخدم الموضوع وتؤدي وظيفة دلالية لإبراز معنىً دون غيره أو اظهار حالة ابرز من غيرها.
٣. من خلال تكرار بعض الأصوات بشكل مكثف هذا يكشف عن حاجة الشاعر الملحة للكشف عما يدور في ذهنه وإبراز انفعالاته التي أصبحت هي الأخرى صورة من صور التكرار فالمعاناة واليأس والالم معاني مكررة في العديد من نصوصه الشعرية.
٤. التكرار عند شاعرنا ليس مجرد حشو بل هناك قصدية من وراء ذلك تتضح هذه القصدية في دراسة الحروف المكررة وبذلك يعزز الشاعر قناعتنا للتعامل مع التكرار ليس على انه شكلاً لفظياً بقدر ما هو دلالة معنوية.
٥. نجد في بعض الشواهد تعادلا نسبيا بين اصوات الجهر وبين اصوات الهمس يعكس ذلك حالات شعورية تتنازع الشاعر مثل عينيته في رثاء أبنائه.

وختاماً نحمد الله عز وجل الذي أعاننا على الانتهاء من هذا البحث، ولا ندعي لا نفسنا الكمال، فهذا جُهد المُقل، فإن أصبنا فمن فضل الله ومنته علينّا، وإنّ أخطأنا فمن أنفسنا، والحمد لله أولاً وآخراً.

الهوامش:

١- لسان العرب ١٣٥/٥.

٢- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ١١٧.

٣- السجلماسي، هو القاسم بن محمد بن عبد العزيز الانصاري أديب ولد بسجلماسة ورحل إلى فارس لطلب العلم، ينظر: الاعلام ١٨١/٥.

٤- ينظر: أسلوب التكرار بين القدماء والمحدثين ٥٩ –٦٦

٥- التكرار في الشعر الجاهلي :١٦١.

٦- ينظر: المصدر نفسه ١٦٤–١٦٥

٧- الشعر والشعراء: ٢، ٦٣٨.

٨- الخصائص: ١٠، ٣٢.

٩- العين: ٧، ٨١.

١٠- البيان والتبين: ١، ١٢.

١١- لسان العرب: ٢، ٢٤٩.

١٢- ينظر:الكتاب: ٤، ٤٣٣.

١٣- ينظر: تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي: ٦٣، ٦٤.

١٤- ينظر:الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: ٩٤–٩٦.

١٥- ديوانه، ٤٧.

١٦- المصدر نفسه، ٤٨.

١٧- المصدر نفسه.

١٨- ديوانه، ٤٩.

١٩- المصدر نفسه، ٥٠.

٢٠- المصدر نفسه، ٦٤.

٢١- أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره: ٤١.

٢٢- ديوانه، ٩٩.

٢٣- المصدر نفسه، ٨١.

٢٤- ديوانه، ٨٩-٩٠.

٢٥- المصدر نفسه، ٢٤.

٢٦- المصدر نفسه، ٨٦.

٢٧- ديوانه، ١١٧.

قائمة المصادر والمراجع:

١- الأعلام، خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٢- أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره (خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن هذيل ت ٢٧هـ)، نورة الشملان، عيادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض، ط١، ١٩٨٠م.

٣- أسلوب التكرار بين القدماء والمحدثين، بحث مقدم من أ.عبد القادر علي زروقي، وأ.د.محمد عباس، مجلة الذاكرة، ع٩، ٢٠١٧.

٤- البيان والتبيين، (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي أبو عثمان الشهير بالجاحظ) (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م.

٥- التكرار في الشعر الجاهلي - دراسة أسلوبية، د.موسى ربابعه، جامعة مؤته،١٩٩٠م.

٦- تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، د.أسعد أحمد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط٣، ١٩٨٥م.

٧- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، (د. ت).

٨- ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق: د.أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببور سعيد، ط١، ٢٠١٤م.

٩- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٠- العين، أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت).

١١- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

١٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

١٣- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

١٤- الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد سالم محيسن (ت ١٤٢٢هـ)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.